

سورة الانفطار مكية

وآياتها تسع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكروه: « إذا السماء انفطرت » : انشقت ، وإذا كواكبها انتشرت منها فتساقطت ، « وإذا البحار فجرت » يقول : فجر الله بعضها في بعض ، فملاً جميعها .

وقوله : « وإذا القبور بعثرت » يقول : وإذا القبور أثيرت ، فاستخرج من فيها من الموتى أحياء ، يُقال : بعثرت فلان حوض فلان : إذا جعل أسفله أعلاه ، يُقال : بعثره ومجثره : لغتان .

وقوله : « عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ » يقول تعالى ذكروه : علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه ، وأخرت وراءه من شيء سنه فعمل به .

وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه ، لأن كل ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدمه ، وأن ما ضيع من حق الله عليه وفرط فيه فلم يعمله ، فهو مما قد قدم من شر ، وليس ذلك مما أخر من العمل ، لأن العمل هو ما عمله ، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئه قدمه ، فلذلك قلنا : ما أخر : هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة ، مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكروه : يا أيها الإنسان الكافر ، أي شيء غررك بربك الكريم ، غر الإنسان به عدوه المسلط

عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « ما عرَّكَ برئكَ الكريم » شيءٌ ما عرَّ ابنَ آدمَ هذا العدوُّ الشيطانُ .

وقوله : « الذي خلَقَكَ فسَوَّكَ » يقولُ : الذي خلَقَكَ أيها الإنسانُ فسَوَّى خلَقَكَ « فَعَدَّلَكَ » .

واختلفت القراءُ في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والشام والبصرة « فَعَدَّلَكَ » بتشديد الدال ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بتخفيفها ، وكأنَّ مَنْ قرأ ذلك بالتشديد ، وجَّه معنى الكلام إلى أنَّه جعلكَ مُعدَّلَ الخلقِ مُقوِّمًا ، وكأنَّ الذين قرءوه بالتخفيف ، وجَّهوا معنى الكلام إلى صرْفِكَ ، وأمالك إلى أيِّ صورة شاء ، إمَّا إلى صورة حسنة ، وإمَّا إلى صورة قبيحة ، أو إلى صورة بعض قراته .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : أن يُقال : إنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ ، غير أن أعجبهما إليَّ أن أقرأ به ، قراءة من قرأ ذلك بالتشديد ، لأنَّ دخول « في » للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل ، ألا ترى أنَّكَ تقولُ : عدَّلْتُكَ في كذا ، وصرَفْتُكَ إليه ، ولا تكادُ تقولُ : عدَّلْتُكَ إلى كذا وصرَفْتُكَ فيه ، فلذلك اخترتُ التشديد .

القولُ في تأويل قوله تعالى :

كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾

يقولُ تعالى ذِكْرُه : ليس الأمرُ أيها الكافرون كما تقولون من أنكم على الحق في عبادتكم غير الله ، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب ، والجزاء والحساب .

وقوله : « وإنَّ عليكم لحافظين » يقولُ : وإنَّ عليكم رقباءَ حافظين يحفظون أعمالكم ، ويحصونها عليكم ، « كرامًا كاتبين » يقولُ : كرامًا على الله كاتبين ، يكتبون أعمالكم .

وقوله : « يعلمون ما تفعلون » يقولُ : يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خيرٍ أو شرٍّ ، يحصون ذلك عليكم .

وقوله : « إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ » يقولُ جلُّ ثناؤه : إنَّ الذين برؤا بأداء فرائض الله ، واجتنب معاصيه لفي نعيم الجنان ينعمون فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٥﴾ يَصَلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٦﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٩﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره: « وَإِنَّ الْفُجَارَ » الذين كفروا برّبهم « لَفِي جَحِيمٍ » .

وقوله : « يَصَلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ » يقول جل ثناؤه : يَصَلَى هَؤُلَاءِ الْفُجَارُ الْجَحِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يُدَانُ الْعِبَادُ بِالْأَعْمَالِ ، فَيُجَازُونَ بِهَا .

وقوله : « وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ » يقول تعالى ذكره : وما هؤلاء الفجار من الجحيم بخارجين أبداً فغائبين عنها ، ولكنهم فيها مُخَلَّدُونَ مَاكِثُونَ ، وكذلك الأبرار في النعيم ، وذلك نحو قوله : « وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ » .

وقوله : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ » يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : وما أدراك يا محمد ، أي وما أشعرك ما يوم الدين ؟ يقول : أي شيء يوم الحساب والمجازاة ، مُعَظِّمًا شَأْنَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ، بِقَبِيلِهِ ذَلِكَ .

وقوله : « ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ » يقول : ثم أي شيء أشعرك أي شيء يوم المجازاة والحساب يا محمد ، تعظيماً لأمره . ثم فسّرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْضَ شَأْنِهِ فَقَالَ : « يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا » : يقول : ذلك اليوم ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ : يقول : يَوْمَ لَا تُغْنِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، فَتُدْفَعُ عَنْهَا بَلِيَّةٌ نَزَلَتْ بِهَا ، وَلَا تَنْفَعُهَا بِنَافِعَةٍ ، وَقَدْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تَحْمِيهَا ، وَتُدْفَعُ عَنْهَا مَنْ بَغَاهَا سَوْءًا ، فَبَطُلَ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ صَارَ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ ، وَلَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ ، وَاضْمَحَلَّتْ هُنَالِكَ الْمَمَالِكُ ، وَذَهَبَتِ الرِّيَاسَاتُ ، وَحَصَلَ الْمَلِكُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ : « وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ » يقول : وَالْأَمْرُ كُلُّهُ يَوْمَئِذٍ ، يَعْنِي الدِّينُ لِلَّهِ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ .

آخر تفسير سورة إذا السماء انفطرت